

بقلم

مريم عبد الله النعيمي

حكاية جدتي

حكاية جدتي

مريم عبد الله النعيمي

الطبعة العربية الأولى / ٢٠٠٦

الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

إدارة الثقــافة والفنـون

قســم الدراســات والبحــوث

ص . ب : ٣٣٣٢ الدوحة

فاكس : ٤٨٨٣٧٩٤ (٩٧٤)

الغلاف والرسوم الداخلية : عـلاء السـعيد

الطباعة : مطابع رينودا الحديثة



بقلم : مريم عبد الله النعيمي

رسوم : علاء السعيد





أنْهَى أحمد وريم امْتِحاناتِ آخِرِ الفَصْلِ ،
وطَلَبا مِن أبِيهما زِيارَةَ جَدَّتِهما (أُمِّ ناصِرٍ)
في القَرْيَةِ والإقامَةَ عِنْدَها ، فَرَحَّبَ
الوالِدُ بالفِكْرَة .





وفي الصَّباحِ الباكِرِ مِن يَوْمِ الجُمْعَةِ استَقَلُّوا السَّيّارةَ مَعَ أَمْتِعَتِهم التي حَزَمُوها مُنْذُ البارِحَةِ لِقَضاءِ أُسْبُوعٍ عِنْدَ الجَدَّة .

ذَهَبَ أحمد وريم مع أبيهما بالسَّيّارةِ إلى هُناكَ ، وعلى طُولِ الطَّريقِ تَبادَلا الحَديثَ مع أبيهما عَن القَرْيَةِ وكَيْفَ يَقْضِي أهْلُها يَوْمَهُم ، وأخَذَ الأبُ يُشيرُ لِوَلَدَيْهِ إلى مَناطِقَ بِمُسَمَّياتٍ مُختَلِفَةٍ .


الأب : أُنْظُر يا أحمد . . هذا مِسْطاحٌ !
أحمد : مِسْطاح ؟ ! ماذا تَعْني يا أبي ؟
الأب : إسْأَلْ ريم فَقَد تَعْرِفُ الإجابَةَ .

ريم : نَعَم يا أبي أعْرِفُ ، إنَّهُ المكانُ المُنْبَسِطُ مِنَ الأرْضِ ، وتَكُونُ تُرْبَتُهُ طِينِيَّةً ، ولا يُوجَدُ فيه شَجَرٌ . ٢

ثم أشارَ الأبُ إلى وَلَدَيْهِ قائلاً : وهذا حَزْمٌ يا عِيال .

فقالا : نحنُ لا نَعْرِفُ الحَزْمَ .

فقالَ الأبُ : الحَزْمُ هو المكانُ الذي يَرْتَفِعُ عَمّا حَوْلَهُ مِنَ الأرض وبِهِ صُخُورٌ ، وفي قَطَر حُزُومٌ مَعْرُوفَةٌ مِثل : أبو صوي وبريك .

ريم : أبي ، مِنْ أيْنَ لك بهذه المعلومات ؟ !

الأب : مِنَ البيئة ، فَلَقَد عِشْتُ في البادِيَةِ مُنْذُ صِغَري وأعْرِفُ كُلَّ شيءٍ عَنْها .

أحمد : ما شاءَ اللَّه يا أبي ! أخْبِرْنا بِكُلِّ شيءٍ حَتَّى نُصْبِحَ مِثْلَكَ نَعْرِفُ أسْماءَ مَناطِقنا ومُسَمَّياتِ الأشْياءِ ، فهذا الطَّريق الجميل يا أبي [٣]، ما اسْمُهُ ؟

الأب : هذا لَيْسَ طَريقاً ، هذا وادٍ ، والوادي أرضٌ مُنْخَفِضَةٌ بينَ مُرتَفِعَيْن وهو مَجْرًى لِمياهِ المَطَرِ ، ولِذَلِكَ يَكُونُ أخْضَرَ وبِهِ شُجَيْراتٌ وأعْشاب ، وفي قَطَر وُدْيان مَشْهُورَةٌ مِثل : وادي الجِمال ووادي الغِرْبان .

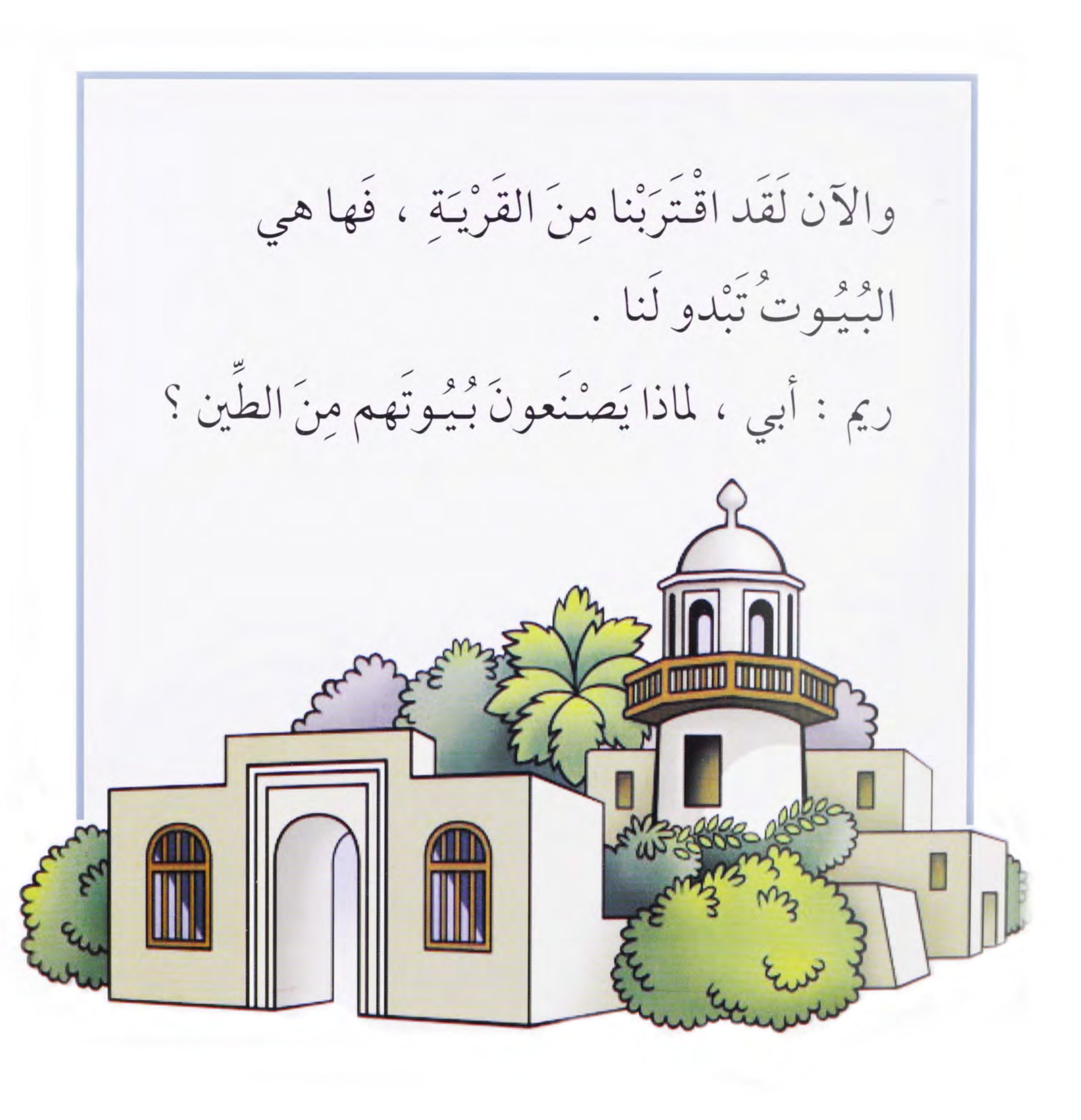


ريم : أُنْظُر يا أبي ! هُناكَ خَطٌّ طَويلٌ ضَيِّقٌ يَمْتَدُّ بَعيداً ، إلى أيْنَ يَذْهَبُ هذا الخَطُّ ؟ وما هُوَ ؟

الأب : هذا الخَطُّ يُسَمَّى « عادي » [٤] وهو طَريقٌ مِن أثَرِ المُشاةِ ، وقَد تَكَوَّنَ مِن تَكْرارِ مَشْيِ النَّاسِ والحيواناتِ على نَفْسِ الطَّرِيقِ ، فَتَزَحْزَحَ الحَصَى عَنِ العادي وأصْبَحَ خَطّاً واضِحاً يَسْلُكُهُ الجَميعُ ، وهو كالشّارِعِ في المَدينَةِ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشاءُ النّاسُ ، والعادي جَمْعُها : العَوادي ، والعَوادي مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ آبائنا تَمْتَدُّ مِن شَمالِ قَطَر إلى جَنُوبِها .

والآن لَقَد اقْتَرَبْنا مِنَ القَرْيَةِ ، فَها هي البُيُوتُ تَبْدو لَنا .

ريم : أبي ، لماذا يَصْنَعونَ بُيُوتَهم مِنَ الطِّين ؟



الأب : لأنَّهُ مُتَوَفِّرٌ عِنْدَهُم ، والنّاسُ في ذلك الزَّمانِ يَسْتَخْدِمُونَ الخامات المَوْجُودةَ لَدَيْهم ، ألا تَعْرِفِينَ أنَّ الحاجَةَ أُمُّ الاخْتِراع ؟

ريم : وكَيْفَ تَسْتَطيعُ جَدَّتي العَيْشَ هُنا ؟

الأب : على فِكْرَة ، بُيوتُ الطِّين بارِدَةٌ صَيْفاً دافِئَةٌ شِتاءً ، فَهُم لا يَحْتاجُونَ إلى أجْهِزَةِ التَّبْرِيدِ أو التَّدْفِئَةِ مِثْلما نحتاجُها نحْنُ هذه الأيام ، ولقد اعْتادَت جَدَّتُكِ على ذلك ، وهي تُفَضِّلُ العَيْشَ في قَرْيَتِها على العَيْشِ في المَدينَةِ ، ولَعَلَّكِ تَجِدينَ السَّبَبَ إذا جَلَسْتِ مَعَها .

أحمد : أُنظري يا ريم إلى هذا العادي ، إنَّهُ مُخْتَلِفٌ يَتَكَوَّنُ من خَطَّيْنِ .

ريم : هذا لَيْسَ عادِياً ، إنّهُ شارِعٌ بَرِّيٌّ غَيْرُ مَرْصُوفٍ بالإسْفَلت ، وتَكَوَّنَ مِن مُرورِ السَّيّارات عَلَيْهِ ، ومع الوَقْت تَشَكَّلَ بِشَكْلِ خَطَّيْن لِمُرُور العَجَلات عَلَيْهِ .

الأب : ها قَد وَصَلنا ، اذْهَبا للسَّلامِ على جَدَّتِكُما وأخْبِراها بِوُصُولِنا .

أحمد وريم : السَّلامُ عليكُم يا جَدَّتي .

الجَدَّة : وعَلَيْكُم السَّلامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه ، يا اللَّه حَيِّهم ، يا مَرْحَبا بِكُم وبِمَن جابَكُم يا عِيال ، كَيْفَ حالُكُم ؟

وهُنا دَخَلَ الوالِدُ وقَبَّلَ رأْسَ أُمِّهِ وسألَها عَن أحْوالِها .



رِيم : عَطْشانَة يا جَدَّتي . . أُريدُ ماءً .

الجَدَّةُ : إذْهَبِي إلى هُناكَ تَحْتَ العَريشْ[٥] ، سَتَجِدينَ حُبَّ[٦] الماءِ ، اشْرَبي وأحْضِري لأحمد كأسَ ماءٍ .

رِيم : ما العَريشُ يا جَدَّتي ؟ !

الجَدَّة : إنَّهُ هذا المَكان الظَّليلُ يُبْنَى أمامَ الغُرْفَةِ لِحِمايَتِها مِن حَرارَةِ الشَّمْسِ ، وهو مَكانٌ رائعٌ للجُلُوسِ حَيْثُ الظِّلِّ والهواء العَليل ، ويُصْنَعُ مِنَ الخَشَبِ وسَعْفِ النَّخيل ، والحُبُّ إناءٌ مَصْنُوعٌ مِنَ الفَخَّارِ ، يُصَبُّ فيهِ الماءُ ويُصبِحُ بارِداً ولكن لَيْسَ بِبُرُودَةِ التَّجَمُّدِ ، فَمَهْما شَرِبْتِ مِنْهُ لَنْ تَمْرَضي إنْ شاءَ اللَّه .

أخَذَت ريم شُرْبَةَ ماءٍ مِن الحُبِّ ، ثم قالت : يا سلام !

إنَّهُ باردٌ لِدَرَجَة أنَّني ارْتَوَيْتُ مِنْ أوَّلِ شَرْبَةٍ !

الجَدَّة : هَيّا نَسْتَعِدُّ للصَّلاةِ ثُمَّ نَتَناوَلُ غداءَنا .



حَضَرَ الوالِدُ مِنَ المَسْجِدِ ، وتَجَمَّعوا للغَداء « ماذا سَنَفْعَلُ يا جَدَّتي ؟ » سألَ أحمد .

الجدَّةُ : أمّا أنا فسأذْهَبُ للقَيْلُولَةِ[٧] ، فأنا مُعْتادَةٌ أنْ أُقَيِّلَ ، وأمّا أنْتُما ، فالْعَبا تَحْتَ العَريشِ البارِد ، في حِين يَذْهَبُ أبوكُما إلى المَجْلِسِ حيْثُ يَجْتَمِعُ مع رِجالِ القَرْيَةِ لِيَتَبادَلوا الحديثَ .

وبَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ رَجِعَ الوالِدُ وقَعَدَ مع أُمِّهِ لِتَبادُلِ الحديثِ وشُرْبِ القَهْوَةِ ، ثُمَّ اسْتأذَنَها للرُّجُوعِ إلى بَيْتِهِ في المدينَةِ ، وتَرَكَ الوَلَدَيْنِ مَعَها على أنْ يَعُودَ الجُمْعَةَ القادِمَةَ لِيأْخُذَهُما .



ريم : ماذا تَفْعَلينَ يا جدَّتي ؟

الجدة : إنَّني أُنَظِّفُ الفنر [٨]

قَبْلَ أنْ يأتي الليل ، فإنَّهُ

لا تُوجَد لَدَيْنا مَصابيح

كَهْرَبائيَّة ، والآن ، هيّا

إلى الحَوْشِ [٩] أنْتِ وأخوكِ ، وأخْرِجا

الفِراشَ (أو المَرْقَد) وضَعاهُ على السَّرير .

ريم : وما المَرْقَد يا جدَّتي ؟

الجَدَّةُ : المَرْقَدُ هو الفِراشُ الذي سَتَنامانِ عَلَيْهِ
ويُصْنَعُ مِنَ القُطْنِ أو الإسْفَنْج ، وفي الليل نَنامُ
على الأَسِرَّةِ المُرْتَفِعَةِ التي عادَةً ما نَصْنَعُها بأنْفُسِنا
مِنَ الخَشَبِ والحِبالِ ، مِنْ أجْلِ الهواءِ البارِدِ ،
ومَنْعاً للحَشَرات .

أحمد : ولكن ، الظلام يا جدتي ؟ !

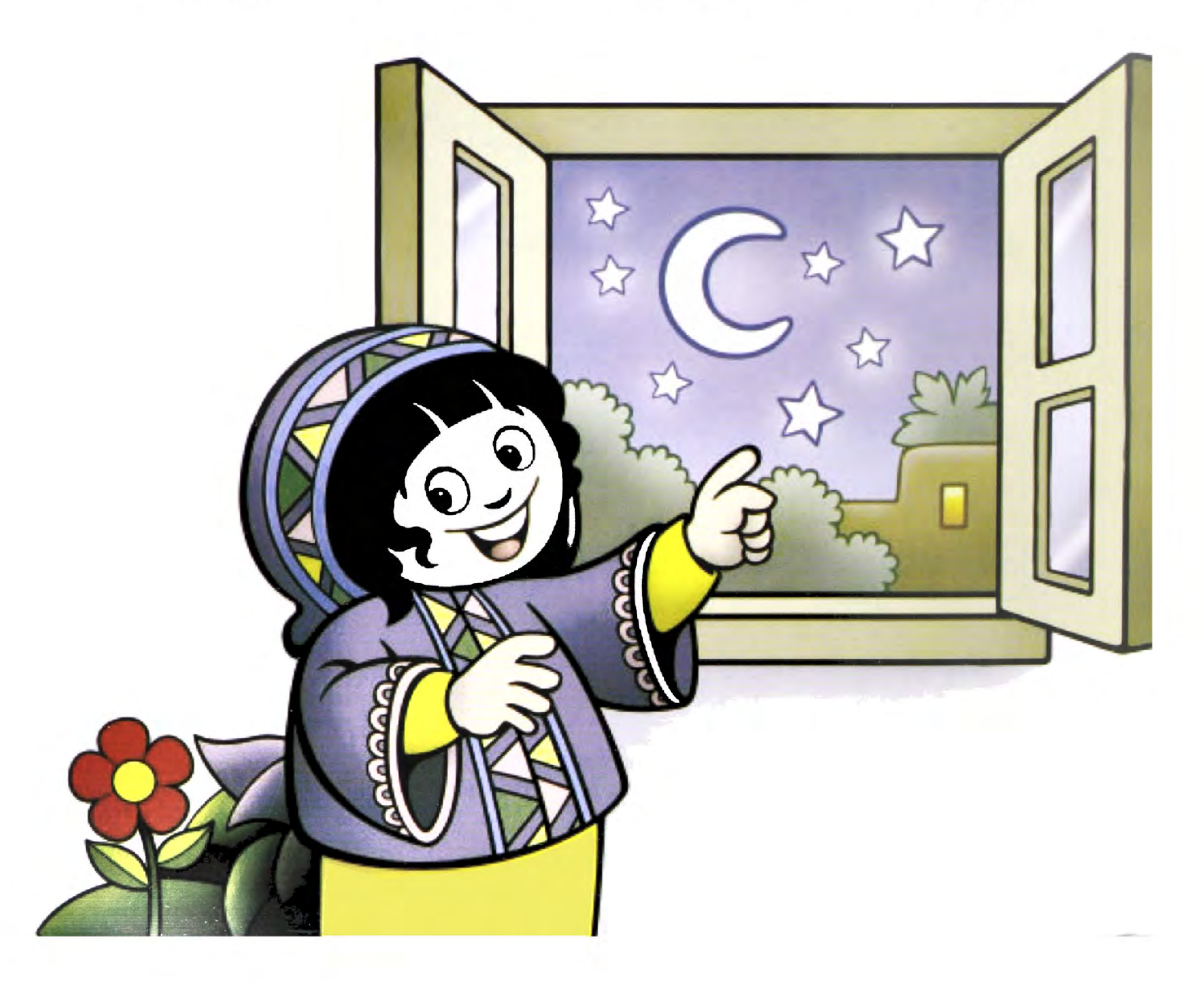
الجَدَّةُ : وهل تَخافَ الظلامَ يا أحمد ؟ ! لا . . لا تَخَف ،
سَيَكُونُ هناكَ ضَوْءُ القَمَرِ والنجومُ الكثيرةُ التي تَتَلألأُ
في السَّماءِ ، وأَنْتَ الآنَ « رجّال البيتِ »

بَعْدَ العَشاء ذَهَبَ أحمد وريم لكي يَناما ،
وطَلَبا مِن جَدَّتهما أنْ تَحكي لهما قِصَّةً .
ريم : اللَّه ! ما أجْمَلَ هذا المنظَرَ ! أُنْظُرْ
يا أحمد ، السَّماءُ مَليئةٌ بالنجومِ اللامِعَة
التي لم أرَ مثلَها في المدينة .
الجدة : أتَعْرِفينَ لماذا يا ريم ؟ لأنَّ الأضواء
الكثيرةَ في المدينة تَحْجُبُ عَنْكُم رؤيَةَ النُّجُومِ .

تأَمَّلت الجَدَّةُ السَّماءَ ثم أشارَت إلى مجموعةٍ تَتَلألأُ مِن النجوم والتَفَتَت إلى أحمد وقالت لَهُ: أُنْظُرْ يا أحمد ، هذه هي السَّبْع[١٠] ، والسَّبْعُ هي سَبْع نَجْمات مُتقارِبات ، لذلك سَموها « سَبْع »

وهناك أيضاً مجموعة مِن النُّجوم تُسَمَّى العَقْرَب[١٠] ، وهي على شكل عَقْرَب ، كما نَسْتَطيعُ كذلكَ أنْ نَرى الثُّرَيّا[١٠].

ريم : اللَّه ! مـا أجْـمَلَ الليلَ هُنا ! سُكُونٌ ، طُمـأنِينَةٌ ، لا ضجيج سيّارات أو أنوار مُزعِجَة ، كَم أتَمَنَّى أنْ أعِيشَ هُنا !



الجَدَّة : هيا . . سأحْكي لكُما القِصَّةَ وبَعْدَها تنامان مُباشَرَةً لكي تَسْتَيْقِظا باكِراً لِصَلاةِ الفَجْرِ .

وحَكَت الجدَّةُ لهما القِصَّةَ ، وسُرْعانَ ما ناما وهُما يَنْظُران إلى السَّماء المُبْهِرَة . .

وعلى صَوْت أذان الفَجْر اسْتَيْقَظَ الجميعُ ، وصَلُّوا ، ثم رَجَعَ الصَّغيران للنَّوْم ، بينما ذَهَبَت الجَدَّةُ للقِيامِ بأعْمالِ المنزلِ .

وسُرعانَ ما صَحَت ريم لِتَلْحَقَ بجَدَّتِها لترى ماذا تَفْعَل .

ريم : أريدُ أنْ أُساعِدَك يا جَدَّتي .

الجَدَّةُ : لا يا ابْنَتي ، اليومَ راقِبيني فَقَط لِتَعْرِفي كيفَ تُساعِديني غَداً .

وأخَذَت الجَدَّةُ الطَّاسَةَ[١١] وذَهَبَت لِتَحْلِبَ الغَنَمَ .

ريم : لماذا لا تَهْرُب العَنْزُ مِنْك يا جَدَّتي ؟

الجدَّةُ : تَهْرُب مِنِّي ! لا تَستطيع ، فأنا أوّلاً أُمْسِكُ بالماعِز التي فيها الحليب وأضَعُ رِجْلَها تَحْتَ رِجْلي ويَدي خَلْفَ رِجْلها ، وأحْلِبُ الحليبَ في الطَّاسَةِ وهي تَعْرِفُ ذلك جيِّداً فلا تَهْرُب مِنِّي .

أحْضَرَت الجَدَّةُ الإفْطارَ وهو عِبارَة عَن شاي بالحليب وبيض مَسْلوق ، ووَضَعَتهُ في الفَيَّة[١٢] لحين اسْتيقاظ أحمد .

ريم : سَمِعْتُك يا جَدَّتي تَقُولينَ « الفَيَّة » فما هي ؟

الجدَّة : « الْفَيَّة » هو الظِّلُّ البارِدُ ، كَظِلِّ الحُجْرَةِ أو الحَوْشِ مَثَلاً ، ويَكُونُ داخِلَ البيتِ مَكاناً بارِداً يجْتَمِعُ فيه أهْلُ البَيْتِ لِتَناوُل الفُطُور ، وانْظُري يا ريم كيفَ نَصْنَعُ اللبَنَ مِن حَليب البَقَر ، نَضَعُ هذا الرَّوْبَ في السِّقا[١٣] ، وهو ، كما تَرَيْن ، إناءٌ أُسْطُوانيٌّ مَعْدِنيٌّ لَهُ غِطاءٌ مُحْكَمٌ ، وكانَ أهْلُنا يَصْنَعُونَهُ مِنَ جِلْدِ الغَنَم .

وأكْمَلَت الجدَّةُ كلامَها قائلةً : ويُعَلَّقُ السِّقا بالحَبْلِ في الشِّيبْ[١٤] ، والشِّيبُ عِبارَة عَن ثلاثِ عِصِيٍّ سميكَةٍ نوعاً ما ، مَرْبُوطَةٍ مِن أعْلى بِحَبْلٍ يَجْمَعُها ، بينما مِنَ الأسْفَل تَسْتَطيعينَ التَّحَكُّمَ في تَفْريقِها بَشَكْلٍ أوْسَع أو أضْيَق حتَّى يَثْبُتَ الشِّيبُ .

ثُمَّ عَلَّقَت الجَدَّةُ سِقا اللبَنِ على الشِّيبِ وأخَذَت تَخُضُّهُ .

الجدَّةُ : والخَضُّ[15] يكونُ هكَذا يا ريم : نَدْفَعُهُ ونَسْحَبُهُ صَوْبَنا لِفَتْرَة ، حتّى نَرى الزُّبْدَ فيهِ ، ويَكُونُ في البدايَةِ صَغيراً جِدّاً ويُسَمَّى النّاثِر[16] ، ونَخُضُّهُ أكْثَرَ فأكثر حتَّى يَكْبُرَ حَجْمُ الزُّبْدِ ، ويُقال « صَلَحَ »[17] اللَّبَنُ أي خَلَصَ ، وبَعْدَ ذلكَ نُنْزِلُ السِّقا مِن على الشِّيب ، ونَفْصِلُ الزُّبْدَ عَنْهُ بوَضْعِهِ وَحْدَهُ في إناءٍ فِيهِ قَليلٌ مِنَ الماء حتَّى تَبْقَى الزُّبْدَةُ مُتَماسِكَةً لا تَذُوب في الماء ، ثُم نَضَعُ اللبنَ في إناء آخر للشُّرْبِ . . والآن ، خُذي يا ريم . . اشْربي .

ريم : اللَّه ! إنَّهُ لذيذٌ يا جَدَّتي !

الجَدَّةُ : طبعاً لأنَّهُ طازَجٌ ، أتَدْرينَ أنَّهُ مِن هذا اللبن
يُمْكِنُ عَمَلُ سِتَّةِ أصْنافٍ أو أطْباقٍ شَهِيَّةٍ للأكْل ؟
ريم : سِتَّة ؟ ! يا إلهي ! وما هي ؟
الجدَّة : إسْمَعي : أوَّلاً مُمْكِن أنْ تَشْرَبي اللبنَ خالِياً
هكذا . . ومُمكِن أنْ تَضَعي عَلَيْهِ قِطَعاً صغيرةً مِنَ الزُّبْدِ
تَطْفُو على السَّطْح ويَتِمُّ أخْذُها
بالتَّمْر (تُغْمَسُ التَّمْرَةُ
في الزُّبْدِ وتُؤْكَل)

ثالِثاً : نغلي اللبنَ فَنَحْصُلُ على يقط[18] ، يُوضَعُ في طاسَةٍ ويُصَبُّ على الوَجْهِ قليلٌ مِنَ الدُّهْنِ (المَصْنُوع أصْلاً مِنَ الزُّبْد) ويُغْمَسُ التَّمْرُ فِيهِ ، ويُسَمَّى هذا الطَّبَق أُم بريد[19] .

رابعاً : يُؤْخَذُ الماءُ المُتَبَقِّي بَعْدَ غَلَيان اليقط ، ويُسَمَّى « إشخال[20] » وهو عِبارَة عَن ماءٍ بِطَعْم اللَّبَن ، ولكِنَّهُ خَفيفٌ جداً ، ويُسْلَقُ فيهِ الأُرْزُ ويُسَمَّى « عيش على شخال » ويُؤْكَلُ بِوَضْع بَعْضِ الزُّبْدِ أو الرَّوْبِ عَلَيْهِ .

خامِساً : نَخْلِطُ اليقط مَعَ التَّمْرِ ، بَعْدَ نَزْعِ النَّوى مِنْهُ ، ثم نَخْلِطُهُ جَيِّداً ويُسَمَّى « شَعَث[21] » أو « عَفيسَةً »

يُوضَع الشَّعَث في الطّاسَةِ وتُعْمَل في وَسَطِهِ حُفْرَةٌ يُصَبُّ فيها الدُّهْنُ أو الزُّبْد ، تُقْطَعُ قِطْعَةٌ صغيرةٌ تُغْمَسُ في الدُّهْنِ وتُؤْكَلُ .

سادِساً : إذا كانَ عِنْدَنا كَمِّية كبيرة مِن اليقط فَيَتِم تَجْفيفُها مع إضافَةِ المِلْحِ إلَيْهِ وعَمَل كُراتٍ صغيرةٍ مِنْهُ ، ويُوضَع في الشَّمْس حتَّى يَجِفَّ ويُصْبِحَ يابِساً ، فَيُمْكِنُ تَناوُلُهُ في أيِّ وَقْتٍ وبَيْنَ الوَجَبات ، ويُسَمَّى « جميد » [٢٢]

ريم : ما شاءَ اللَّهُ يا جَدَّتي ! واللَّهِ إنَّكُم « شاطرين »
جداً ! واليومَ ماذا نأكُلُ ؟

الجدَّةُ : نأْكُلُ الذي تُريدينَهُ يا ريم .

ريم : أُريدُ العَيْشَ الأبيض مع اللبن والزُّبْد .

وبَعْدَ تَناوُل الغداء ذَهَبَت الجدَّةُ لِتَنامَ حتَّى العَصْر ،
وذهب أحمد وريم لِيَلْعَبا في الحَوْشِ تَحْتَ العَريشِ إلى
أنْ يَحينَ أذانُ العَصْر .

بَعْدَ أنْ صَلَّت الجدَّةُ مع حفيدَيْها ، قَعَدَت تَشْرَبُ
قَهْوَتَها مع حَبّات التَّمْر .

أحمد : جَدَّتي ، أُريدُ أنْ تَذْهَبي مَعَنا إلى الحديقة .

الجدَّة : أيْنَ الحديقةُ يا أحمد ؟ لَيْسَ عِنْدَنا حديقةٌ ،

ولكنْ عِنْدنا رَوْضَةٌ خضراءُ

بِفَضْلِ ما أنْعَمَ به

اللَّهُ عَلَيْنا مِن مَطَر .



أحمد : تعالي يا جَدَّتي نَذْهَب إلى الرَّوْضَة .[٢٣]

الجدَّةُ : هَيّا تَوَكَّلْ على اللَّه ، هَيّا يا ريم نَذْهبُ معاً إلى الرَّوْضَة .

وفي الرَّوْضَة قالت الجدَّةُ : أُنْظُرا ما أحْلى هذا المكان ! فيه ظِلٌّ وهواءٌ بارِدٌ وأشجارٌ كبيرةٌ وأنْواعٌ عديدةٌ مِن العُشْبِ الأخضر .

ريم : أخْبِرينا يا جَدَّتي عَن هذه الأشجار .

الجدَّةُ : حاضِر ، مِن عَيْنَيَّ يا عزيزتي .

الجَـدَّةُ : هذه السِّـدْرَةُ كـبيـرةٌ عَـريضَـةٌ وغُـصُـونُهـا كَـثيـفَـةٌ ومُـتَشـابِكَة ، ولهـا ثِمـارٌ صـغيـرةٌ تُسَـمَّى « النَّبْج »[24] وهو حُلْو المَذاق ويُسَـمَّى أيضـاً « كنار » ووَرَقُ السِّـدْر لَهُ فـوائدُ ، منهـا أنَّهُ يُسْتَـعْمَلُ للعِـلاج ، ومنهـا أنَّهُ يُسْتَخْدَمُ لِغَسيل الشَّعْر ، وذلك بَعْدَ أنْ يُجَـفَّفَ ويُطْحَنَ أو يُـدَقَّ ، وهو يُـدَقُّ في الهـاون[25] ، وهو إناءٌ نُحاسيٌّ طويلٌ إلى حَدٍّ مـا ، ولَهُ يَدٌ مِن النُّحاس وتُدَقُّ بِه الحُبُوب مُثل القَهْوَة والهيل وغَيْرِهما .

أحمد : وهذه الشَّجَرَةُ يا جَدَّتي ؟

الجدَّةُ : هذه هي العَوسية [٢٦] ، وهي أصغر حجماً مِنَ السِّدْرَةِ ، ولها ثمارٌ نُسَمِّيها المُصْع [٢٧] ، وهي حُلوةُ المَذاقِ ، هاكَ يا أحمد . . جَرِّبْها .

أحمد : إنَّها تُشْبِهُ الطَّماطِم ، ولكِنَّها صغيرةٌ جداً .

الجدَّةُ : أُنْظُري يا ريم ، هذا النَّبات يُسَمَّى الحوى [٢٨] ، وهو يُؤْكَلُ كذلك ، وعِنْدَكُم أيضاً الجَفْنَة والحنزبان وهذا يُؤْكَلُ جذْرُهُ ، وهو أبيضُ سُكَّريٌّ المَذاقِ ، ومَنَ النَّباتات أيضاً : الجَعْد ، اليعثن ، الرقروق ، الدقيقة ، ونباتات أُخرى كثيرةٌ لا أتَذَكَّرها .

أحمد : أُنْظُري يا جَدَّتي هُنا مَجْمُوعَةُ طُيورٍ تُغَرِّدُ فَوْقَ الشَّجَرَة .

الجَدَّة : هذه الطُّيُور هي طُيُورُ القَوْبَعِ [٢٩]، والواحِدَةُ منها قَوْبَعَة ، وهي صغيرةُ الحَجْمِ بُنِّيَّةُ اللَّوْنِ تُشْبِهُ العُصْفُورَ ، ولكنَّ على رأسِها ريشاً مِثل العُرْفِ ، وهذه الطُّيُور تُحِبُّ الرَّبيعَ جِدّاً ، لذلك فهي تَكْثُرُ في فَصْلِ الرَّبيع .

الجَدَّة : أُنْظُرْ يا أحمد إلى ذلك الطائر الذي يَمْشي هُناك ، هل هو قَوْبَعَة ؟

أحمد : لا يا جَدَّتي ، إنَّهُ مُخْتَلِفٌ قليلاً ، فَلَوْنُهُ يميلُ إلى البياض ، وساقاهُ طَويلَتان .

الجدَّةُ : نَعَم يا أحمد ، أحْسَنْتَ ! إنَّهُ كذلك فِعلاً ، وهذا الطائرُ اسْمُهُ « أُمُّ سالِم » وهناك عِنْدنا طائرُ الأصرد وهو عادةً يَطير حوالي الشَّجَر لا يَذْهَب بَعيداً وحَجْمُهُ أكْبَرُ قليلاً مِن العُصْفُورِ ، ولكنَّ جناحَيْه عَريضان بَعْض الشَّيءِ وتُمَيِّزهما خُطوطٌ سوداءُ وبيضاءُ .

ريم : ما شاءَ اللَّه يا جَدَّتي ! تَعْرِفينَ أسماءَ الطُّيُور كُلَّها !

الجَدَّة : لَيْسَ كُلها ، إنَّما القليل الذي ما زِلتُ أذْكُرُهُ ، في السّابِق يا بُنَيَّتي كانت الرِّياضُ كُلُّها خَضْراءَ ، وكانت الطُّيُورُ تأْتي مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ومِن جميع الأشْكال .

الجَدَّةُ : أَذْكُرُ كذلك طُيُورَ القَطا ، وهذه ريشُها مُتَعَدِّد الألوان ، وتأتي بَعْدَ نُزولِ المَطَر لِتَشْرَبَ مِنَ ماءِ الغَدير[30] .

أحمد : وما هو الغَدير يا جَدَّتي ؟

الجدَّةُ : الغَديرُ هو مُسَطَّحُ الماء الذي يَتَجَمَّعُ في الوادِي أو الرَّوْضَةِ المُنْخَفِضَةِ بَعْدَ نُزُولِ المَطَرِ الغَزير ، وتأتي الطُّيُورُ لِتَشْرَبَ مِنْهُ ، مِثل طيور القَطا والحُبارَى والبَطِّ البَرِّيِّ ، ويَكُونُ تَجَمُّعُ هذه الطيورِ على الماءِ جميلاً جداً . . سُبحانَ اللَّه !

وأكْمَلَت الجَدَّةُ قائلَةً : وإذا نَزَلَ المطَرُ جاء مَعَهُ خَيْرٌ كثيرٌ للعِبادِ وللحَيَوان ، وخاصَّةً إذا نَزَلَ الوَسْمِيُّ .[٣١]

ريم : ما هو الوَسْمِي يا جَدَّتي ؟

الجدَّة : الوَسْمي يا بُنَيَّتي هو المَطَرُ الذي يَنْزِل في بُرْج الوسمي ، وبَعْدَهُ بِقَليل يَطْلع الفَقْع[٣٢]، والفَقْعُ عِنْدَنا لَهُ أهَمِّيةٌ خاصَّة .

الجَدَّةُ : إنَّ النّاسَ جميعاً يَذْهَبُونَ للبَحْثِ عَن الفَقْع ، وما أسْعَدَهُ مَن يَجِد الزبيدي .[٣٣]

أحمد : أنا لا أعْرِف الزبيدي يا جَدَّتي .

الجَدَّة : أنا أُعَلِمُكَ يا أحمد : الزبيدي هو نَوْعٌ مِنَ الفَقْع يكونُ لَوْنُهُ أبيضَ خالِصاً ومَذاقُهُ لَذيذاً ، وهو يُوجَدُ عادَةً في المناطِق الرَّمْلِيَّة ، ويأتي بَعْدَهُ الإخلاص[٣٣] ، والإخلاص فَقْعٌ يميلُ لَوْنُهُ إلى البُنِّي أو الأحمر بعض الشيء ، وهو لَذيذٌ أيضاً ، وبَعْد ذلك تأتي الهوابر[٣٣] وهي صغيرةُ الحجمِ بُنِّيَّةُ اللَّوْن .

سألَت ريم جَدَّتَها : وكيف أبْحَثُ عَن الهوابر يا جَدَّتي ؟

الجدَّةُ : نَحْنُ نَبْحَثُ عَنْها في الوُدْيان والفُرُوع ، خاصَّةً في مَنابتِ الرقروق ،[٣٤] والرقروق هو نَباتٌ مَعْروفٌ عِنْدَنا ، وما أجْمَلَ قاعَ قَطر إذا نَزلَ الوسمي « يُفَقِّع » كُلُّه !

أحمد : أُنْظُري يا جَدَّتي ، لَقَد وَجَدْتُ هذا الخِيارَ الصَّغيرَ ، ولكنَّ لَهُ شَوْكاً !

رَدَّت الجَدَّةُ على أحمد ضاحِكَةً : هذا لَيْسَ خِياراً يا أحمد ، هذا « يراوه »[٣٥] أو « عتر »[٣٥] ونحنُ نأكُلُهُ هكذا أو نَعْمَلُ علَيْهِ مَضْروباً ، إجْمَعْ لي ، أنْتَ وريم ، كَمِّيَةً نأخُذُها مَعَنا لِعَمَلِ المَضْروب للعَشاء .

أحمد وريم : حاضر يا جَدَّتي ، ولكنْ يخْرُجُ مِنَ الشَّجَرَة حَليبٌ يا جَدَّتي ! ما هذا ؟ !

الجَدَّةُ : هذه عُصارَةُ الشَّجَرَةِ ، وهي فِعْلاً بَيْضاء تُشْبِهُ الحليب .

ريم : هيّا يا جَدَّتي لِنَذهب إلى البيت قَبْلَ نُزُول المَطَر .

الجَدَّةُ : وأيْنَ هذا المَطَر يا ريم ؟

ريم : أُنْظُري يا جَدَّتي إلى تِلْكَ الغُـيُوم .

الجَدَّةُ : هذه الغُـيُومُ نُسَمِّيها سَحاباً ، والسَّحابُ لَوْنُهُ أبيض ، يَعْني لَيْسَ فيها مَطَر .

أحمد : ومَتى يَنْزِلُ المَطَرُ يا جَدَّتي ؟

الجَدَّة : إذا كانَت الغُـيُومُ كَثيفَةً سَوْداءَ ، أو كانَ لَوْنُها أدْكَنَ ، فَنَحْنُ نُسَمِّيه « دِيمَةً »[٣٦] وعادَةً يَصْحَبُها بَرْقٌ ، وأحْياناً رَعْد ، اللَّه ! يا زين البراق[٣٧] ! يَشُقُّ الغَيْمَ شَقّاً ، والرَّعْدُ يُنْبِيءُ بِنزُولِ مَطَرٍ غَزيرٍ .

أَكْمَلَت الجَدَّةُ قائِلَةً : وأوَّلُ المَطَرِ يَكُونُ قَطَراتٍ صَغيرَةً مُبَعْثَرَةً وتُسَمَّى « رَشّ » وإذا اشْتَدَّ نُزُولُ المطَرِ وغَزُرَ يُسَمَّى « حَلَبَة »[٣٨] وإذا اسْتَمَرَّت الحَلَبَةُ حوالي خَمْس دقائق (ما شاء اللَّه !) تَسيلُ الوُدْيان وتَمْتَلِيءُ الرِّياض .

وهُناك مَطَرٌ خَفِيفٌ جداً مثل الرَّذاذ ومُتَقَطِّعٌ يُسَمَّى « نميلي »[٣٩] ويَسْتَمِرُّ نُزُولُهُ فَتَرات طَويلَةً تَمْتَدُّ إلى ثلاثِ ساعاتٍ أو أكْثَر .

وهُناكَ غُيُومٌ بيضاءُ

خَفيفَةٌ في السَّماء

نُسَمِّيها « طهوف»[40]

وإذا ظَهَرَت الشَّمْسُ ،

بَعْدَ نُزُولِ المَطَر بقَليل ،

يَنعَكِسُ في الأُفُقِ مَنْظَرٌ

جميلٌ نُسَمِّيه « خَط القزازة »[41] ألْوانُهُ جميلةٌ واضِحة .

أحمد : وما هو خَطُّ القزازة يا جَدَّتي ؟

الجَدَّةُ : خَطُّ القزازة هو ما يُعْرَفُ لَدَيْكُم بِقَوْسِ قُزَحَ .

ريم : ها قَد وَصَلْنا إلى البيت ، اللَّه ! كانت نُزْهَةً جميلةً في تلكَ الرَّوْضَةِ الخضراء .

الجدَّة : بَعْدَ العِشاء سوفَ نَتَناوَلُ طَعامَ العَشاء حتَّى تَناما ، وغداً سَوْفَ يأتي أبوكُما لِيأْخُذَكُما .

ريم : سُبحانَ اللَّه ! لقد مَرَّت الأيّامُ بِسُرْعَة يا جَدَّتي ، نَحْنُ نَشْكُرُكِ على حُسْنِ ضِيافَتِكِ وسِعَةِ صَدْرِكِ لاسْتِفْساراتِنا .

أحمد : ونَشْكُرِك يا جَدَّتي كَذَلِك على كُلِّ ما قَدَّمْتِ إلَيْنا مِن مَعْلومات استَفَدنا منها كثيراً ، فَجَزاكِ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ يا جَدَّتي .

الجَدَّةُ : وجَزاكُما يا وَلَدي ، وسَوْفَ نَلْتَقي في الإجازَةِ القادِمَة ونَقْضي وَقتاً أطْول إنْ شاءَ اللَّه .



معاني المُفْرَدات

١ - المسطاح : أرضٌ طينيَّةٌ مُنْبَسِطَة .

٢ - الحزم : أرضٌ صَخْريَّةٌ مُرتفِعَةٌ قليلاً عمّا حولها .

٣ - الوادي : أرضٌ مُنخفِضَةٌ طُوليَّة بينَ مُرتَفِعَيْن تكونُ مَجْرىً لمياه المطر .

٤ - العادي : طريقٌ طويلٌ تَكَوَّنَ مِن أثَر المُشاة .

٥ - العريش : سَقْفٌ مُرتفعٌ مَصنوعٌ مِنَ الخَشَبِ وسَعْفِ النخيل .

٦ - الحَبُّ : إناءٌ مِنَ الفخَّار لِتَبريد المياه .

٧ - القيْلولة : النومُ قليلاً بَعْدَ صلاةِ الظُّهْر .

٨ - الفنر : مِصباحٌ للإضاءة يَعْمَلُ بالكيروسين .

٩ - الحوْشُ : فناء المنزل .

١٠ - السَبْع ، العَقْرب ، الثُرَيا : أسماء نجوم .

١١ - الطاسة : إناءٌ دائريٌّ عميقٌ مِن أواني المطبخ .

١٢ - القيْلة : ظِلُّ الجدار عندما تُشرق الشمسُ صباحاً حتّى بعدَ الضُّحى ، ودائماً تكون في الجهة الغربيَّة .

١٣ - السقا : إناءٌ أسطواني معدني يُحْفَظُ فيه اللبن ، وكان قديماً يُصْنَعُ مِن جلد الغَنَم .

١٤ - الشيب : ثلاثة أعْمِدة مَربُوطَة بحَبلٍ مِن أعلى لرَفْع السقا عليْه .

١٥ - الخضُّ : عَمَليَّة صُنع اللبن ، وهي عِبارة عَن دَفْع السقا وسَحْبه .

١٦ - الناثر : اللبن وبه قِطَعٌ صغيرةٌ جداً مِنَ الزُّبْد .

١٧ - صلح : أي جَهز .

١٨ - اليقط : طعامٌ شعبيٌّ أبيضُ اللون مُتماسك نحصل عليه بأنْ نَغلي اللبن على نارٍ هادئة .

١٩ - أم بريد : اسمُ طَبَقٍ شعبي عبارة عن يقط يُوضَع على سَطْحِهِ دُهْنٌ مَحَليٌّ (دُهن قَطَري)

٢٠ - إشخال : الماءُ الخفيفُ المُتَبَقّي بَعْدَ أخْذ اليقط .

٢١ - الشعث : مأكولٌ شعبي معروف (اليقط مع التمر)

٢٢ - الجميد : يقط مُجَفَّف .

٢٣ - الروضة : أرضٌ خضراء بها أشجارُ السِّدر والعَوْسَج وأنواع العُشب .

٢٤ - النبج : النَّبق ، وهو ثمارُ السِّدرة .

٢٥ - الهاون : إناء نُحاسيٌّ لهُ يَدٌ نُحاسِيَّةٌ ، يُسْتَخْدَمُ لِدَقِّ القهوة ، الهيل ، والحُبُوب .

٢٦ - العوسية : شجرة العَوْسَج .

٢٧ - المِصَع : ثمار شَجَر العَوْسَج .

٢٨ - الحوى ، الجفنة ، الحنزبان ، اليعثن ، والرقروق وغيرها : كلها نباتات برِّيَّة تنمو في بَرِّ قَطَر .

٢٩ - القويع ، أم سالم ، الأصرد ، والقطا : كُلُّها أسماءٌ لِطُيُورٍ تعيشُ في قطر .

٣٠ - الغدير : تَجَمُّع ماء المطر .

٣١ - الوسمي : فَصْلٌ مِن فُصُول السَّنَة ، بِهِ يكثر نُزُول المطر .

٣٢ - الفقع : عبارة عَن فُطْرٍ يَخْرُجُ مِنَ الأرضِ بَعْدَ نُزُولِ المطر .

٣٣ - الزبيدي والإخلاص : من أنواع الفقع ، والصغير مِنْهُ يُسَمَّى هوابر

٣٤ - الرقروق : نباتٌ بَرِّيٌّ يكثر وجودُهُ في المناطق الرَّمْلِيَّة .

٣٥ - يراوة (أو عتر) : شُجَيْرَةٌ بَرِّيَّةٌ صغيرة بها ثمارٌ خضراء .

٣٦ - الديمة : هي الغيمةُ المُمْتلِئَة بالماء ، وتكونُ دَكْناءَ اللون .

٣٧ - البراق : البَرْقُ .

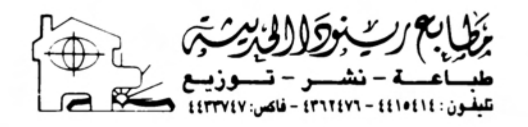
٣٨ - الحلبة : نُزُولُ المطر بِغَزارة .

٣٩ - النميلي : المطر الخفيف كأنَّهُ رذاذ .

٤٠ - الطهوف : الغيوم البيضاء الخفيفة ، وتَكُونُ بعيدةً ومُتَفَرِّقَةً في السماء ، وليسَ بها مَطَرٌ .

٤١ - خط القزازة : قَوْسُ قُزَحَ .

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٢٠٠٦/٦٢٨
الرقم الدولي (ردمك) : ٤-٠٢-٨٢-٩٩٩٢١


مطابع رشيد الحديثة
طباعة - نشر - توزيع
تلفون: ٤٤١٥٤١٤ - ٤٣٦٢٤٧٦ - فاكس: ٤٤٣٣٧٤٧



إدارة الثقافة والفنون
قسم الدراسات والبحوث
الدوحة - قطر ٢٠٠٦